الباب الثالث

كرامات الأولياء

تفضل الله على أهل طاعته وولايته بكرامات جليلة منحهم إياها وأكرمهم بها لصلاحهم وتقواهم وسيرهم على هدي النبى ﷺ. سبحانه فهو الجواد الكريم، عطاؤه لاينقطع، وخزائنه لاتنفد. وفى هذا الباب نعرض لأصحاب الكرامات فى الأمم السابقة وفى جيل الصحابة خير خلق الله بعد الأنبياء والمرسلين أصحاب المكانة العالية والشرف الرفيع الذى لايصلح له سواهم فهم الذى اصطفاهم الله لنبيه وأعانه بهم على حمل عبء الرسالة وبلاغها للناس.

ويأتى من بعدهم التابعون الذين اقتدوا بهدى النبى ﷺ ووضعوا نصب أعينهم الصحابة، مآثرهم وجليل أعمالهم فكانوا خير مثل يقتدى به.

وكما أن الناس تتفاوت درجات إيمانهم وصلاحهم فإن الكرامات تتعدد وتتنوع ويتسع مجالها. فكل أولياء الله من عباده أصحاب كرامات لأن الهداية والتثبت على الطاعة وحسن الخاتمة كرامة وفضل لايساويه فضل ومنزلة عظيمة ينالها الإنسان بتقواه وصلاحه وصدق عبوديته وخضوعه لخالقه سبحانه.

الفصل الأول : كرامات السابقين

جُريج العابد:

وقعت أحداث هذه القصة كما أخبرنا رسول الله ﷺ فى بنى إسرائيل وهم قوم تعاقب فيهم الرسل كما جعل الله لبعض الصالحين فيهم كرامات لتكون فى أقوامهم أدعى للهداية والتثبت على الإيمان وفى هذه القصة يدافع الله عن أوليائه ويرد عنهم السوء ويتولى رفع أيدى الظلم عنهم مصداقاً لقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(١) فهذا صبى تكلم فى المهد ليُبَرِّئ هذا الرجل الصالح العابد الذى اتُّهم بإتيان الفاحشة فأنطق الله الرضيع ليقيم الحجة على قومه ويكون آية للناس ينصر الله بها وليه. وإليك القصة كما رواها النبى ﷺ قال عليه ﷺ: «لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة: عيسى عليه السلام، وكان فى بنى إسرائيل رجل يُقال له جريج، كان يصلى، جاءته أمه فدعته فقال: أجيبها أو أصلى؟(٢) فقالت أمه: اللهم لاتمته حتى تريه وجه المومسات (٣). وكان جريج فى صومعته، فتعرضت له امرأة فكلمته فأبى، فأتت راعياً فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت: مِنْ جريج. فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبُّوه. فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام فقال: من أبوك ياغلام؟ فقال الغلام: الراعى. قالوا نبنى صومعتك (٤) من ذهب . قال: لا إلا من طين..» (٥) نعم لقد كان جريج رجلاً صالحاً حقاً كان يريد الله ولايريد الدنيا الزائلة فقد آثر أن يتعبد فى صومعة من الطين على الذهب لأن العبرة بطاعة الله والإخلاص له لا فى نوع البناء.

---

(١) الحج :٣٨ .

(٢) قال الإمام العينى: يُستفاد من هذا الحديث فى إيثار إجابة الأم على صلاة التطوع لأن إجابة الأم واجبة فلا تترك من أجل نافلة. (عمدة القارى١١/١٩١).

(٣) البغايا.

(٤) الصومعة مكان للعبادة يتعبد به.

(٥) رواه البخاري فى صحيحه (٣٤٣٦) ومسلم فى صحيحه، وأحمد فى المسند.

الصبى الذى كلّم أمه فى المهد:

ونأتى إلى ثالث من تكلم فى المهد بعد عيسى ابن مريم والغلام الذى برأ جريجاً العابد فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال ﷺ: «بينا امرأة ترضع ابنها إذ مر بها راكب وهى ترضعه فقالت: اللهم لاتمت ابنى حتى يكون مثل هذا، فقال: اللهم لا تجعلنى مثله، ثم رجع فى الثدى. ومر بامرأة تجرر ويلعب بها فقالت: اللهم لاتجعل ابنى مثلها. فقال: اللهم اجعلنى مثلها. فقال ﷺ: «أما الراكب فإنه كافر وأما المرأة فإنهم يقولون لها: تزنى! وتقول : حسبى الله، ويقولون: تسرق! وتقول حسبى الله» (١). وهذه القصة تدعونا ألا نغتر بمظاهر الدنيا فإنها زائلة والعاقبة للمتقين قال رسول الله ﷺ: «إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» .(٢) فإن الله ينظر إلى القلوب ولاينظر إلى الصور والهيئات لقوله سبحانه: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ (٣).

الثلاثة الذين أطبق عليهم الغار:

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا (٤) إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله ياهؤلاء لاينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه. فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى أجير عمل لى على فرق(٥) من أرز فذهب وتركه وأنى عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أنى اشتريت منه بقراً وأنه أتانى يطلب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها. فقال لى: إنما لى عندك فرق من أرز. فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أنى

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه ٣٤٦٦ .

(٢) رواه أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه وابن ماجة فى سننه عن أبى هريرة.

(٣) الحجرات:١٣

(٤) لجأوا إليه احتموا به.

(٥) فرق: مكيال سعته ثلاثة آصاع.

فعلتُ ذلك من خشيتك ففرِّج عنا، فانساخت (١) عنهم الصخرة. فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنمٍ لى، فأبطأت عليهما ليلة فجئت وقد رقدا، وأهلى وعيالى يتضاغون (٢) من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواى فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنَّا لشربتهما (٣)، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنى فعلتُ ذلك من خشيتك ففرِّج عنا، فانساخت الصخرة حتى نظروا إلى السماء فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى ابنة عم من أحبِّ الناس إلىَّ وإنى راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتى من نفسها، فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تفضِّ الخاتم إلا بحقه (٤)، فقمت وتركت المائة دينار. فإن كنت تعلم أنى فعلتُ ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرَّج اللهُ عنهم فخرجوا» (٥).

وهذه القصة تبين لنا أن الله يكشف السوء عن عباده بصالح أعمالهم وهذا هو حال الله تعالى مع عباده الصالحين وأوليائه المتقين لأن الله لايضيع عمل المتقين قال تعالى: ﴿ **إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** ﴾(٦).

الغلام والساحر والراهب.

عن صهيب بن سنان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:« كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحرٌ فلما كبر قال للملك: إنى قد كبرتُ فابعث إلىَّ غلاماً أعلمه السحر فبعث إليه غلاماً يعلِّمه فكان فى طريقه إذا سلك راهب

---

(١) انزاحت وتحركت.
(٢) يتضاغون: يتصارخون.
(٣) أى يستكينا لعدم شربهما من الاستكانة وهى الضعف لأن عشاءهما اللبن وترك الطعام يمرض
(٤) أى أنها لا تحل له إلا بالزواج.
(٥) رواه البخارى فى صحيحه ٣٤٦٥ .
(٦) الكهف :٣٠ .

فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكى ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى وإذا خشيت أهلك فقل: حبسنى الساحر (١) فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أى بنى ! أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدلَّ علىَّ ، وكان الغلام يبرىء الأكمه (٢) والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء (٣) فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتنى، فقال: إنى لا أشفى أحداً إنما يشفى الله فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربى قال: ولك ربٌّ غيرى؟! قال: ربى وربُّك الله، فأخذه فلم يزل يعذِّبه حتى دل على الغلام، فجىء بالغلام فقال له الملك: أى بنى ! قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمة والأبرص، وتفعل وتفعل فقال: إنى لاأشفى أحداً إنما يشفى الله، فأخذه فلم يزلْ يعذبه حتى دل على الراهب فجىء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك! فأبى فدعا المنشار (٤) فوضع المنشار فى مفرق رأسه (٥) فشقه حتى وقع شقَّاه ثم جىء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك ! فأبى، فوُضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جىء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من

---

(١) قال النووى: نستدل من ذلك على جواز الكذب فى الحرب ولإنقاذ النفس من مواضع الهلاك.

(٢) الأكمه: المولود أعمى .

(٣) الأدواء جمع داء وهو المرض.

(٤) هو المنشار.

(٥) مفرق الرأس: مكان افتراق الشعر أى منتصف رأسه.

أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف(١) الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرقور(٢) فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه ، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفاينهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذعٍ ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صُدْغِه(٣) فوضع يده في صُدْغِه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأُتي الملك فقيل له: أرأيت ماكنت تحْذر، قد والله نزل بك حَذَرُك قد آمن الناس فأمر بالأخدود (٤) في أفواه السكك (٥) فَخُدَّت وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأحْمُوه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست (٦) أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أُمَّهْ اصبري فإنك على الحق،(٧) وقد حدثت هذه القصة بعد ميلاد المسيح عليه السلام وانتشار دعوته

---

(١) رجف : اهتز.
(٢) قرقور: سفينة طويلة عظيمة.
(٣) الصُدغ: جانب الوجه من العين إلى الأذن.
(٤) أخدود: شق عظيم في الأرض.
(٥) أفواه السكك : أبواب الطرق.
(٦) تقاعست: توقفت وتكاسلت.
(٧) رواه مسلم في صحيحه (١٣٢/٩) والترمذي (٣٣٤٠) والنسائي (٥١٠/٦) واللفظ لمسلم.

وصاحب هذا الأخدود هو ذو نواس وهو ملك يهودى طاغية لما بلغه أن أهل نجران آمنوا ودخلوا النصرانية حفر لهم أخاديد وملأها جمراً فمن تبعه على دينه خلّى عنه ومن أقام على النصرانية قذفه فيه حتى أتى بامرأة وابنها وعمره سبعة أشهر فقال لها: امضى على دينك فلا نار بعدها فرمى بالمرأة وابنها فى النار وكف بعدها(١).

أصحاب الكهف (٢):

ذكر الله تعالى أخبارهم فى كتابه العزيز لتكون آية لنبيه ﷺ أمام اليهود الذين تحدوه أن يخبرهم بأمر أصحاب هذه القصة وغيرها من الأحداث الماضية التى يكتم علماء اليهود علمها فأخبره الله بها ليثبت فؤاده ويبين صدق نبوته لهم فتبطل حجتهم وتكون داحضة. فقد أخبر الله نبيه ﷺ بأمرهم فى سورة الكهف.وصدّر الآيات الكريمة بقوله تعالى :﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**﴾(٣) فالله تعالى يخبرنا من خلال تلك الآيات الكريمة أن ما جاء من عجب بشأن هذه القصة ما هو إلا بعض قليل من كم هائل من المعجزات التى سيجريها الله تعالى على يدى نبيه ﷺ فلا تعجب يا محمد من أمر الله فهو القادر على كل شىء. وقد وقعت أحداث هذه القصة فى عهد ملك جبار من ملوك الروم يدعى دقلديانوس كان يدعو الناس لعبادة الأوثان من دون الله الواحد الأحد وأبطالها هم فتية مؤمنون فروا بدينهم من مدينة الكفر التى عاشوا فيها لئلا يفتنهم أهلها ويصدوهم عن دينهم الحق وكانوا على دين عيسى عليه السلام وقد اشمأزت نفوسهم من الوثنية التى

---

(١) الأعلام (٨/٣) للزركلى وابن كثير فى تفسيره (٤٩٤/٤) ومختصر سيرة ابن هشام (١ / ٣١،٣٦).

(٢) وقعت أحداث هذه القصة فى مدينة إفسوس وكانت مدينة وثنية وكان ملكها مشركاً ففر فتية بدينهم ودخلوا كهفاً وبقوا به ٣٠٩ سنة وهى قصة وردت فى كتاب الله فى سورة باسمها.

(٣) الكهف : ٩ .

غاص أهل المدينة فى غمار وحلها فاجتمع هؤلاء الفتية على غير موعد منهم جمعهم الإيمان بالله الذى زينه الله فى قلوبهم وبذلك ألَّف الله بين قلوبهم قال تعالى:﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾(١) واتخذوا لهم مكاناً يعبدون الله فيه ثم عرف أمرهم واستدعاهم الملك فلما مثلوا بين يديه جادلهم بالباطل ليثنيهم عن عزمهم فلم يستطع أمام صلابة إيمانهم وقوة تصميمهم أن يردهم عن الحق فأعطاهم مهلة وأجَّلهم كى ينظروا فى أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم، فعزموا على الهرب من الطغاة والفرار بدينهم من هذه الفتنة الشديدة فتوجهوا إلى كهف يستترون به ويأوون إليه قال تعالى:﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ (٢) ففقدهم قومهم ولم يجدوهم وطلبهم الملك فبث جنده فلم يعثروا على آثارهم لأن الله عمَّى عليه خبرهم كما فعل بنبيه محمد ﷺ وصاحبه فى الغار أثناء الهجرة(٣) ولما لم يجدوهم تركهم الملك محاصرين فى كهفهم وقال: ماكنا نريد من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم، فانصرفوا عنهم وهم على يقين أنهم بعد أيام سيكونون فى عداد الموتى لكن رحمة الله كانت بهم أوسع قال تعالى:﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾(٤) فضرب الله عليهم النوم فناموا قال تعالى:﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾(٥) ويقول أهل العلم أن الله لما ضرب على آذانهم بالنوم العميق لم تنطبق أعينهم بل ظلت مفتوحة للهواء حتى تصح ولاتبلى ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾(٦) وكانوا فى نومهم يتقلبون على جنوبهم حتى لاتأكلهم الأرض قال تعالى:﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾(٧) وكان يصحبهم كلب فشملته بركتهم فنام مثلهم وهو بفناء الكهف رابضاً يحرسهم،

(١) الكهف : ١٤ .
(٢) الكهف : ١٦ .
(٣) ابن كثير فى تفسيره.
(٤) الكهف : ١٠ .
(٥) الكهف : ١١ .
(٦) الكهف : ١٨ .
(٧) الكهف : ١٨ .

وألقى الله عليهم المهابة فلا يقع نظر أحد عليهم إلا وهابهم وتملكه رعب شديد قال تعالى:﴿ **لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا** ﴾(١) والأعجب من ذلك أن الله جعل الشمس تميل عن باب الكهف حتى لاتدخل أشعتها فتحرق أجسادهم وثيابهم قال تعالى:﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ**(٢) **عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ**﴾(٣). ثم بعثهم الله بعد ثلثمائة وتسع سنين فلما انتبهوا تساءلوا كم لبثتم؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم لأنهم كانوا قد دخلوا كهفهم فى أول نهار واستيقظوا فى آخر نهار قال سبحانه ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا** ﴾(٤) وخرج واحد منهم ليجلب طعاماً وشراباً لهم ويستطلع أخبار المدينة فقالوا: ﴿ **فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ** (٥)**هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا** ﴾(٦) فخرج أحدهم بعد هذه السنوات الطوال فلم ير ما يعرفه من معالم بلدته ولاأهلها فقد تبدل حال المدينة بموت الملك الكافر وتعاقب من بعده عدة ملوك على الإيمان فصلحت المدينة وصلح أهلها ولما ذهب إلى السوق عمد إلى رجل يبيع الطعام فأعطاه ما كان معه من عملات قديمة تعجب البائع منها وظن أن هذا الشارى عثر على كنز فاجتمع عليه الناس وقادوه إلى الملك الذى خرج معهم حتى وصلوا إلى الكهف فدخله الرجل حتى غاب فيه وعاد إلى مضجعه هو ومن معه ثم قبضهم الله عزوجل.

---

(١) الكهف : ١٨ .
(٢) تميل
(٣) الكهف:١٧ .
(٤) الكهف :٢٥ .
(٥) الورق: الفضة من العملات.
(٦) الكهف : ١٩ .

الأبرص والأقرع والأعمي

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:« إن ثلاثة في بنى إسرائيل أبرص وأعمى وأقرع بدا لله عزوجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملَكاً، فأتى الأبرص فقال: أى شيءٍ أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلدٍ حسنٍ، قد قذرنى(١) الناس. قال: فمسحه فذهب عنه فأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً فقال : أىُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبلُ ـ أو قال: البقر ـ هو شك فى ذلك : إن الأبرص والأقرع قال: أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر ـ فأعطى ناقةً عُشَراء، فقال : يبارك لك فيها. وأتى الأقرع فقال: أىُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عنى هذا، قد قذرنى الناس. قال: فمسحه فذهب ، وأعطى شعراً حسناً. قال: فأى المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر. قال: فأعطاه بقرةً حاملاً، وقال: يُبارك لك فيها. وأتى الأعمى فقال: أىُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: يردُّ اللهُ إلى بصرى فأبصر به الناس. قال: فمسحه، فردَّ الله إليه بصره. قال: فأىُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاةً والداً، فأُنتجَ هذان(٢) وولَدَ هذا (٣)، فكان لهذا وادٍ من إبلٍ، ولهذا وادٍ من بقر، ولهذا وادٍ من الغنم. ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين تقطعت به الحبال (٤) فى سَفْره فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ـ بعيراً أتبلغ به فى سفرى. فقال: له: إن الحقوق كثيرة. فقال له: كأنى أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناسُ، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابرٍ عن كابرٍ(٥). فقال : إن كنت كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنت . وأتى الأقرع فى صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال لهذا، فردَّ عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال إن كنت كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنت .وأتى الأعمى فى

---

(١) قذره: كرهه. (٢) أى صاحبا الإبل والبقر. (٣) أى صاحب الشاة.
(٤) الحبال: جمع حبل بمعنى الأسباب التى يقطعها الشخص طلباً للرزق.
(٥) كبيراً عن كبير فى العز والشرف.

صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت به الحبالُ فى سفره، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذى ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلغ بها فى سفرى. فقال: كنت أعمى فرد الله بصرى، وفقيراً فقد أغنانى، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدُك(١) اليوم بشىءٍ أخذتَه لله. فقال: أمسكْ مالك،فإنما ابتليتم، فقد رضى الله عنك، وسخط على صاحبيك»(٢).

فإن كانت قصة الأعمى فى هذا الحديث كرامة فقصة الأبرص والأقرع منها تدخل فى باب الاستدراج لأن الله أعطاهما من فضله فلم يقدِّرا حقَ الله عليهما فبخلا وغلاَّ أيديهما فعاقبهما الله بجحودهما وغضب عليها.

●●●

(١) أجهده: شق عليه.

(٢) البخارى فى صحيحه (٥١ / ٣٤٦٤)، وابن كثير فى البداية والنهاية.